

كل حروبي

ماروشا كريسسه
Marusa Krese
ترجمة: قاسم طلاع

أعرف، أن الألم كبير،
أعرف، أن الظلم قادم من مكان بعيد،
من هناك، حيث كل شيء أبيض، ابيض....
من هناك، حيث لا توجد أحزان ولا دموع.

أشجار. بحر. حرب.
أسير أنا على طول ساحل صخري، أجمع المحار، كي احملها معي إلى المدينة المحتلة.
حرب. أشجار خضراء. سلام. شريد لا وطن له.
عيون تعب. صلاة من أجل حياة جديدة. ناقوس كنيسة.

الحروب بعيدة. بعيدة جدا. أنظر على شاشة التلفاز. ضباب. ثلوج. جبال. آثار على الثلج. بعناء ومشقة
يحملن الأمهات أطفالهن مدثرين بأغطية سميكة. صبي يحمل جدته على حمالة صنعها من اغصان
الشجر، كي يكون بمقدوره سحبها فوق الثلج. رجل عجوز نائم تحت شجيرة مغطاة بالثلج. آباء اذلاء
يتساقطون تحت وابل من الرصاص. الرياح تعصف. إنها الحرب، نفترض، أنها بعيدة. هناك على جهاز
التلفاز، في فلم، في احلام مرعبة.

اشجار خضراء. بحر. حرب. صوت أبواق. ليل. لا وجود لدموع بعد الآن.

إنها الحرب. نابليون. تولستوي. حرب وسلام. لاجئون. في مهب الريح. الجيوش النازية وحرب
المقاومة. عرض عسكري. أمهات، الذين سقط أبنائهم في الحرب. نياشين تلمع. قبور أبطال مجهولة.
مخازن اسلحة. قنابل ومدافع. مجاعة. ثلوج. الحنين إلى حياة سعيدة. حرب. جنود باللون
الاحمر والأزرق، وجنود باللون الأبيض والأسود. كراسي متحركة. أعلام. أطفال يبكون. أعشاب تنمو
على قبور بجانب مستوطنة سكنية. ساحة للعب الأطفال، مزبلة، قطط وكلاب. جردان.

أشجار خضراء. بحر. حرب. بشر ينتظرون الخبز في طوابير طويلة. قنابل. خبز. صفير الانذار. بكاء
دون دموع.

كانوا قد أقنعونا منذ صغرنا، بأن الجيل، الذي أنا واحدة منه، سيعيش حياة سعيد دون حرب، دون جوع
وموت تحت وابل من نيران اسلحة مرعبة، ولكن ما أن حلت فترة الثمانينيات وبدء نهايتها، بدأ الوضع
في يوغسلافيا يغلي. وإذا أردنا قول الحقيقة، فإن مثل هذا الوضع كانت قد بدت معالمه بالظهور قبل هذا
التاريخ، عندما بدأت الأطراف السياسية المعنية باتهام بعضها البعض باثارت المشاكل في هذا البلد.
الصرب كانوا يقولون " ان الذنب يقع على السلوفينيين ". والسلوفينيين كانوا يقولون " الذنب يقع على
المقدونيين ". البوسنيون والمقدونيون كانوا يقولون " الذنب يقع على الكروات " وشعب الجبل الاسود

يقولون " الذنب يقع على الالبان. والألبان يتهمون الصرب. الكل كانوا غاضبون على بعضهم البعض ومن هنا بدأ الرصاص يتناثر من كل مكان وبدأ أعداد الضحايا يزداد كل يوم. وعلى ضوء هذه الاحداث وفي لحظة من لحظات الغضب قررت في واحدة من صباحات يوم الأحد، حيث كنت في حينها اعيش في برلين، أن أفعل شئ ضد الحرب.
" أولادي أريد السفر إلى سرايفو " هكذا قلت.
" اذا سافري إلى هناك، لكن سيسعدنا جميعا، لو تعودين إلينا سالمه." هكذا كان ردهم.
أسبرين، Antibiotika، شوكلاده... اي شيء يمكن يأخذه المرء معه إلى الحرب..؟ جوارب دافئة..؟

آه، السعادة سلاح دافئ.

في ليوبليانا مررت بوالدتي. هل علي أن أقول لها، أنني في طريقي إلى سرايفو..؟ أم لا..؟ وإذا ما وقع لي مكروه ..؟ والدتي، التي كانت واحدة من المفاتلات اللواتي شاركن في حرب التحرير، كانت تتكلم معي بعصبية " انت لا تعرفين أبدا، ماذا تعني الحرب! .."
" وأنتأيضا لم تعرفين في حينها "
هكذا كان ردي عليها.

I Know, you dont know

What is war, yeah...

What is war, fuck...

(Die Gruppe Beastly Stroke aus Sarajevo)

والدتي تحوك جوارب. تحوك جوارب من الصوف لسرايفو.
حدثتني: " كنت أسير مع مجموعة من قوات الأنصار في طرق مغطات بالثلوج وجو شديد البرودة وكان مسئول مجموعتنا شاب جميل مخلصا في عمله، شجاعا. وكان المسئول الأعلى منه قد طلب منه أن يقود هجوما في الوادي عند Temenice. تطلع هذا الشاب علي بنظرة حزينة. آه يا إلهي قلت في دخيلتي، انه سيسقط هذه الليلة ولن يعود سالما."
والدتي تحوك جوارب دافئة لسرايفو.
والدتي تحدثني عن الحرب.

أشجار خضراء. بحر. طائر النورس. رياح دافئة . شمس. حرب. في واحدة من الزاويا ينتظر هو.
مدافع. قنابل وضحكات. طائرات.

المطار العسكري الأمريكي في فرانكفورت. الجنود الامريكان الذين كانوا هناك، طيبون، دمطي الاخلاق، أخذوني معهم إلى فندق عسكري لقضاء الليلة هناك. وكان علي أن أسافر في اليوم التالي معهم بالطائرة إلى أنكونا Ancona... في الفندق حمام الشرقي، مسبح، بدي وكأننا إجازة سياحية في وسط كولورادو.

في انكورادو طلبت شرطة هيئة الأمم المتحدة مني أن أخلع ملابسي، كذلك طلبت الشرطة الايطالية أن أفعل هذا أيضا... مدعية، بأنها مجرد تدابير أمنية في الحد من تهريب المخدرات إلى سرايفو...
سألت الضابط الألماني، لماذا أنا...؟
ملاحك تثير الشبهة. هكذا كان الجواب...

ملاححي تثير الشبهة... 1971

اللقاء العالمي للكتاب في جامعة ايوا Iowa. التقيت بواحد من الكتاب اللطفاء في وسط مدينة ايوا. كان أقصر مني مرتين بمقياس الرأس وكانت قصائده، التي لها نفحة شرقية، محبوبة لدى جميع الذين كانوا متواجدين في ساحة الجامعة. دعوته إلى تناول العشاء معي. فكل أصدقائي نباتيون وحتى أنا. كيتس، سلفيا بلاث، نيكسون فيتنام، الذرة الامريكية. وصل الكاتب اللطيف متأخرا عن الموعد واعتذر عن هذا التأخر ووضع على المائدة ديكا بريا وأرنبا ميتان. الطعام النباتي، الخبز الأسمر وحيوانات الشاعر. " خرجت في صباح هذا اليوم إلى الصيد " قال هذا الشاعر. شاعر. قصائد حب شرقية، يوغا كل صباح. فيتنام. كلب من فيتنام. متى، بحق الإله، سيوقفون نيكسون عند حده..؟

آه، السعادة سلاح دافئ،

الحقيقة تقتل الحياة،

تمحي الذكريات،

وتترك الحب في ازقة حزينة بين بيوت دون ضوء.

" كان أبي قد شارك في الحرب الكورية "، هكذا بدأ الشاعر روايته، " وحينما انتهت هذه الحرب، انتظرناه، أمي وأنا، على رصيف الميناء. لم نتعرف عليه وهو يترك السفينة. كنت دائما في خصام معه. في يوم ما، وبطوع إرادتي، قررت الذهاب إلى فيتنام للمشاركة في الحرب أيضا. ومنذ عودتي من الحرب ولحد الآن لازلنا نخرج سوية، وفي كل مناسبة، إلى الصيد. كانت خطوة موفقة وصحيحة مني، عندما كان قراري اختيار فيتنام. والدتي سعيدة، لأنني من خلال تجربتي في هذه الحرب بدأت أفهم والدي. وأعرف ما يريد... ولازلنا نحتفل بعيد رأس السنة الميلادية... ولم انس طفلي الفيتنامية، التي لا أعرف ماذا حل بها وأين هي. وأبكي على موت كلبتي الفيتنامي، الذي تسلل عبر طرق كثيرة إلى المطار في البحث عني... تألمت ... أخذته معي. " تطلعننا، نحن، الجميع على الديك البري والأرنب الميتان. ...Oh, Happiness is a warm gun

هكذا، كما اتفقنا نحن، هكذا كان.

ليس أقل من، وليس أكثر من، وليس إلا هذا.

ولكن الآخرون هم الذين قرروا،

كم عدد الموتى،

كم عدد الذين سيختفون،

وكم سيكون عدد الذين سيشردون.

نحن باقون،

لأننا اعطينا وعدا،

ولأننا اتفقنا

لأننا نقضنا العهد،

وبعنا ما كنا قد ورثناه.

" في ألمانيا كانوا يتمنون على جماليات الحرب. يقتل انسان بالرصاص ومن ثمة يبدأ من جديد إطلاق

الرصاص على جثته - جثة المقتول - ، ويبدأ بالرقص كل من يطلق الرصاص عليها. فجأة يرى في هذا الجسم الميت قمة الجمال بحد ذاته - إنه الشعور بالانتصار - ، وتناسينا، بأن هذه الجثة كانت قبل ثوان إنسان حي."

فيتنام، نصف عشاء، قصائد حول الشمس والسلام، احتجاج في كل مكان من هذا العالم. دعر. الأرنب والديك البري سأرميهما في المزبلة. غريب.

سلام. حرب. خوف. دبابات متموضعت على قمم جبلية. الوية من العساكر داخل الغابة. جنود يطلقون الرصاص بعضهم على البعض. هذا ما يشاهده المرء في الأفلام. قادة من العساكر راكبين جيادهم. أعلام. المنتصر. في زمننا هذا لا وجود لمنتصر، فالرصاص يطلق على الناس العزل. أشجار دائمة الخضرة. بحر. حرب. نفحات صيفية. Rosmarin. رائحة بارود. قبور جديدة. والآن من سيصدر حكمه للتاريخ....

قمت بالتوقيع على ورقة .

Please be advised that you are accepted on UNPROFOR transport at your own request and free will. UNPROFOR will accept no liability for any loss, injury or death in connection with the provided transport.

ثم تابعت سفري سوية، مع الألمان إلى سرايفو. سمح لي الجلوس إلى جانب قبطان الطائرة، لكوني، أنا، من أرض غربية ملامحها تثير الشكوك. رأيت بحرنا، الذي صارت الوانه باهتة.... لا يعلم إلا الله، لماذا أريد الذهاب إلى هذه المدينة. فأنا لا أعرف أحد فيها. غربية.....

أشجار بخضرتها الدائمة. بحر. حرب. انتظار مريم العذراء... الله... بوذا... هايدن. أنتظر. أنتظر، الخوف ينتابني.

في 31 من كانون الأول. كان ليل يغلفه الضباب. ركضت بسرعة مع حقائبي الثقيلة عبر مدرج المطار وكان الرصاص يتطاير من حولنا ومن فوق رؤوسنا. معي كانوا ثلاثة مسافرين وهم يحملون حقائب ثقيلة أيضا وجنود من قوات هيئة الأمم المتحدة - قوات حفظ السلام - كانوا يركضون أسرع منا، ولم يخطر ببالهم مساعدتنا. وحينما وصلنا إلى Container كتب عليها " اهلا وسهلا في سرايفو " وعرفت إنها قاعة الاستقبال المؤقتة لمطار سرايفو.

كنت أسير في هذه القاعة " من هنا إلى هناك ومن هناك إلى هنا " وكان البرد يغلف جسدي وأنا في وضع نفسي سيء. ولا أحد من اصحاب البيرية الزرقاء، قوات حفظ السلام، يعرف، فيما إذا سنأتي اليوم سيارة مصفحة، تستطيع أن تأخذنا إلى مركز المدينة عبر المناطق الصربية. الجميع يودع بعض الآخر " تصبح على خير أو كل عام وأنت بخير " ثم افترقنا.

هل سأستقبل السنة الجديدة في هذا المبنى..؟

وصلت عربية مدرعة وجنود مصريون أخذونا معهم إلى المدينة.

أشجار. سفن في البحر. قمر يبتسم. نساء تبكي في الكنيسة. صمت.

على طول ساحل البحر الأدرياتيكي، كنت أسير هناك، على أمل أن تمر واسطة نقل للصعود إليها. لم

اكن هناك لوحدي، وإنما كان معي طالب امريكي له شعر طويل. كنت أريد السفر إلى البندقية وهو إلى روما. يريد الذهاب إلى السفارة الأمريكية هناك، كي يعرف، فيما إذا كان دوره قد جاء للذهاب إلى فيتنام والمشاركة في الحرب. أكثرية الشباب الأمريكي كان ينتظر مثل هذه القرعة وانتظار الرقم الذي يقرر مصيرهم للمشاركة في هذه الحرب. اهداني هذا الطالب الأمريكي علبة للف السكائر وقليل من الحشيش وكتاب كاستاندا -Castaneda- . وعلبة لف السكائر لا زلت أحملها معي في كل مكان أذهب إليه من هذا العالم. هل وقعت القرعة عليه وجاء دوره للذهاب إلى فيتنام..؟ أنا لا أعرف حتى اسمه. ربما كاستاندا. كنت أدخن تبغ الهرسك Herzegowina وأشاهد على شاشة التلفاز موتى ضحايا الحرب في لبنان.

Wehere have all the flowers gone...

فيتنام. في وسط بركلي Berkeley. شمس. جون بيز. محاربون قدماء في فيتنام. معوقون. أطفال. شرطة على الجياد، شرطة مع خوذ فولاذية. حشود من الطلبة. بشر جالسا على الحشيش، بشر يدخنون الحشيش. بشر مضطجع على الحشيش. يوغا. Tai Chi. وعبر مكبرا للصوت يذكر شخصا ما عدد الضحايا:

200.000 جندي قتيل من قوات فيتنام الجنوبية،
56.000 جندي قتيل من قوات الجيش الأمريكي،
920.000 جندي قتيل من المعسكر الشيوعي،
350.000 ضحية من المدنيين من فيتنام الشمالية،
450.000 ضحية من المدنيين من فيتنام الجنوبية،
لاوس، كمبوديا، لم أسمع عدد ضحايا هؤلاء.
ايرخ بوردون يغني لحن:

The House oft he Rising Sun .

أخاف من الذهاب إلى المدينة،
لأنني غريب.
ربما لا يسلم علي أحد،
لا أحد يعانقتي،
وربما لم أتمكن من قراءة الحروف في عيونكم.

أخاف من الحقيقة،
من حزنكم،
من غضبكم،
من كبرياتكم.
أخاف على حياتكم.

الطيار الألماني، يشير لي، بجملة مختصرة، " يوغسلافيا هذا البلد الجميل " وأنا أفكر بوالدي، الذي أصيب بجروح برصاص الألمان أيام حرب التحرير، ونقله الأمريكان عام 1945 بطائرة إلى أنكونا Ancona... لازلت أتذكر الترام الأخضر في ليوبليانا... حيث كان ابي رمزا للبطولة هناك، فقد ساقه في الحرب، وكنت أطلب منه دائما أن يسافر معي بهذا الترام الأخضر، حيث يسمح للمعوقين الصعود من الباب الأمامية، وكنت فخورة بذلك، لأن الجميع كانوا ينظرون إلينا. إلا إننا لم نسافر سوى مرتين بهذا الترام.

طيار ألماني. أنكونا. أب فقد ساقه. هذه الأرض الجميلة... هذه المدينة الجميلة.

كل الذين قابلتهم في المدينة قالوا: " قريبا ستظهر مريم العذراء. " نزعت حذائي القدر وتسلمت إلى داخل مشمع النوم وأنا أنتظر.
ربما ستظهر لي ايضا،
لأنني وصلت إلى هذه المدينة.
لم أسأل ولو مرة واحدة، أين هو الله والمدافع تلك المدينة هذه، إلا انني سأضع السؤال أمامها في لحظة ظهورها.

بحر. أشجار. أعضاء اصطناعية. السعادة هي سلاح دافئ.....

عربات النقل، جنود حفظ السلام، حدود، جنود
كلهم صاروا وطني.
في الجنوب تتفتح أزهار الكرز - وأشجار الجوز،
في مدينة الصمت تستيقظ الشمس.
البحر غريب وبعيد،
الرياح مفزعة.
أسير على طول الساحل وأنا أجمع محار البحر اللامعة،
أحملها معي إلى المدينة المحتلة.
من كان يراني يعتقد، إنني مصابة بالجنون - هكذا حدثت نفسي -،
أثناء ما كنت أحشر في الحقيبة كل شيء،
بدأ من التراب حتى أعشاب ال Rosmarin ،
فصوص من الحجر والذكريات،
وسيرة حياتي.

وقفت أمام جنود البيرية الزرقاء،
قوات حفظ السلام،
أخرجت هذه الأشياء الثمينة، كلها، من حقيبتي،
حاولت أن أشرح بكل اللغات، بما أمكن،
هذا كل ما بقي لدي،
ذاكرة أحملها معي
وإرثا لأطفالي.

كنا جميعا سعداء وفرحتنا كانت لا توصف. لقد انتهت حرب فيتنام. الأمريكان يتركون هذا البلد. لقد انتصر الحق في هذا العالم، هكذا كنا نعتقد على الأقل. في بوسطن كنت أشاهد الأخبار على شاشة التلفاز. مقابلات مع الجنود الأمريكيين في قاعدة عسكرية في ألمانيا كانوا ينتظرون الأمر بالذهاب إلى فيتنام، أما الآن لم يبق أمامهم غير العودة إلى وطنهم.... لقد انتهت الحرب.
هل كانوا سعداء من هذا الحدث...؟ كان واحد الجنود يصرخ وبشكل منفعلي في الماكريفون: " أمنيتي كانت رؤية هذا العالم. أردت أن أكسب نقودا! اما الآن فقد سقط هذا الحلم. "
كنا، جميعا، نحمل صور هوشي منه. لقد انتهى عهد الكراسي المتحركة للمعوقين وتوقفت صناعة التوابيت. هكذا كان افتراضنا.... قناعتنا
لا وجود لأطفال فقدوا آبائهم،

لا وجود للكوكابين،
للهيروين،
لأرنب ميت. وديك بري ميت.
ونيكسون أقيبل من منصبه.

أشجار. بحر. حرب. **Makrobiotik**. صحة. غيوم تغطي السماء. هل كل هذا حلم...؟ أبحث عن
كلمات. كلمات تصف هذا الحلم الرهيب. كلمات... لا توجد كلمات...

أي كلمة علي أن اختارها، في وسط شتاء سرايفو، في سينما Slago، في كونسيرت غنائي لفرق
الروك الجديدة في هذه المدينة، حينما أسمع صوت الشاب من فرقة Graffiti، التي قتلت زوجته
برصاصة واحد من القناصة وهو يغني. أرادت أن تقول شيء ما لي، إلا أنني وصلت متأخرة ... ربما
كانت في الثانية والعشرين... لا أعرف، هل يجب أن أضحك أم أبكي.
حينما أرى فرقة "احتجاج". هذه الفرقة، التي حولت أصوات من كان في القاعة إلى صرخات مدوية
حينما بدأت تغني:

حياتنا رائعة،
لا يوجد على هذه الأرض أروع منها.
من شدة السعادة كادت عيوني تطلق العنان لدموعها
كل يوم.
صدقونا
لا ينقصنا شيء
غير الماء،
الكهرباء،
التي تزورنا بين يوم وآخر،
وبدلا عن الماء صارت لدينا قطرات من الندى
نسد فيها رmq عطشنا.
نحن لا نستحم.
فالاستحمام ممنوع للطفل والرجل والمرأة.
اصدقائي الأعزاء تعالوا وأنظروا بعيونكم:
وضعنا رائع
رائع بالفعل في سرايفو

هؤلاء البوسنة Bosnien الشياطين، هذه الصور الشيطانية... صور لا زالت عالقة في الذاكرة... هذه
المرّة كنت في المدينة النقيت مجموعة من الشباب، شباب يمثلون جيل أولادي... هذا الجيل الذي وقف
جيلي ضده... كنت جالسة مع فرقة "احتجاج"... وكان اثنان منهم قد دهسوا بسيارة مصفحة تابعة
لقوات هيئة الأمم المتحدة بعد الانتهاء من واحدة من حفلاتهم Konzert، على أثرها كانت الإقامة ستة
أشهر في المستشفى من أجل العلاج...

"الآن يجب العودة إلى الجيش..." قال أمير، وهو مغني هذه الفرقة " وصلت إلى البيت قادم من ميدان
الحرب وكان البرد والجوع ينخران في عظامي.... في البيت كان والدي وأصدقائه. وما أن رأوني،
حتى قفزوا من مكانهم يعانقوني، وأعلنوا لي ماذا كان بمقدورهم أن يفعلوا في Bjelasnica المغطاة
بالثلوج.... هذه الحرب هي حربهم، حروب جيلهم، وليس حروبنا... ذهبت إلى القبوا في الحال وبدأت
أعزف على القيثارة، حتى جاءني الأمر في الالتحاق إلى المعسكر..."

سرايفو هي ال Rock and Roll، هكذا كان يقال دائما. لم تزدهر موسيقى الروك من قبل مثل ما ازدهرت في زمن الحرب... الجميع كانوا يتشبهون، على الأقل، آخر ما يقال بالنقد المبطن، الذي بدأ في الأشهر الاخيرة بالاختفاء... كثيرون كانوا يحاولون الهروب من الجيش إلى أقصى حدود الجنون، ولكن لم يفلح الكثير منهم من الهروب من الجنون بعد ذلك.... من يسمع حديث هؤلاء الشباب، يتذكر الستينيات وألاف من مظاهرات السلام والاحتجاج ضد الحرب وألف لحن حول Flowrs Power. ماذا كان على المرء أن يقول لهم، كان من الممكن مساعدة واحد من ألف على الخروج... الخروج من المدينة باتجاه البحر للسباحة هناك... سباحة في مياه البحر... أمنية كل سكنت سرايفو... أعداد كبيرة تريد الخروج من المدينة إلى البحر والقفز في مياهه للسباحة، سباحة... "ومن لم يتمكن، يشتري له أحدث CD ... ألحان Maker وموسيقى رولنك ستون، ولا يعلم سوى الله عن الأشياء الأخرى، زجاجة من الفودكا....

أشجار. قبور. بشر في المدينة. عاصفة تقترب. أنا لا وجود لي.

في الفندق كنت مضطجعة على الفراش وأصوات الرصاص تصل سمعي، رغم ان الحرب لم تبتدى. في المساء جلست مع شخص من سكنت صربيا - كوسوفو في واحدة من المقاهي في برشتينا " نحن الشعب الذي دافع عن أوروبا حينما تصدى لهجوم الأتراك عليها، هذا الدفاع الذي ذبح فيه كل شعبنا تقريبا، ثم أتى هؤلاء الألبان الملاحين واستوطنوا في قلب وطننا." وفي الصباح اليوم التالي جلست إلى جانب ألباني عند تناول القهوة: ,, نحن الذين أنقذنا أوروبا من الأتراك. والآن يريدون الصرب إبادتنا." ثم تسائلت أكثر من مرة عن أي شيء تدور الاحداث هنا..؟! حبذا لو يقول لي احد متى تفلح أول طائرة باتجاه الوطن! هل هي الحرب...؟

هنا يطلقون الرصاص على الأطفال والحيوانات. وعلى كبار السن. عند بئر القرية كان طفل يبكي بسبب موت حمار. أهل القرية يريدون الثأر من الشرطي الصربي، الذي قتل هذا الحمار. مراسل إذاعة ال BBC قال وهو في حالة من الخوف: "في أي زمن نعيش الآن لنرى امامنا مثل هذه المسرحية الهزلية حول حمار ميت...؟. " يبدو هنا أن للحمار قيمة أكثر من قيمة اي إنسان على هذه الأرض. كان هذا ردي على مراسل إذاعة ال بي بي سي وبشكل قاس. ثم وبعد أحداث كثيرة تعودنا على مثل هذه القسوة. الحرب هي الحرب هي الحرب.

في بريشتنا جلست في واحدة من مقاهيها. قهوة تركية، هذا هو القاسم المشترك الوحيد بين الصرب والألبان وكرهت سماع الحكايات الباطلة عن الماضي وحكايات التاريخ المزيف وتلك المتاهات في القدس في اسرائيل وفلسطين.

أشجار. قبور مهجورة. بالحجر محاطة.

في وسط السوق العربي أبا إسرائيلي مع خمسة أطفال وهو يحمل اسلحته الثقيلة... مدفع رشاش أو شيء من هذا القبيل. زوجته تسير خلفهم وهي تمسك منديلا ورقيا على أنفها. يبدو أن رائحة بائعي الخضار كريهة بالنسبة لها لاتطيقها.

شاب فلسطيني في معصمه ساعة غالية الثمن، كان يشرح لي، كيف انه كان قد درس في الأكاديمية العسكرية في البوسنة وإنه يعرف الكثير عن السلاح اليوغسلافي وموت نيتو. شباب إسرائيلي على البحر الأحمر، من الذين سمح لهم أن يتركوا الكيبوتس Kibbutz أول مرة، مجهلون

التعامل مع النقود... وكانوا يعتقدون بل واثقين بأنني امرأة فلسطينية.
بائع عجوز، الذي دعاني لتناول الشاي، أوضح لي، بأن هتلر كان رجل جيد. بالحقيقة كان بطلا، فقط
إنه لم يكمل ما بدأ به.
في واحدة من المقاهي خمسة من الرجال العرب وليس معهم سوى سلاح واحد - بندقية - وكان يحملها
كبيرهم. والآخرين فخورين بذلك. شباب يحملون الحجارة بأيديهم خلف جدران البيوت. ومراسل ال بي
بي س معهم والإسرائيليون يطلقون الرصاص عليهم. رجل انكليزي يرمي آلة التصوير على الأرض
ويحمي بجسمه طفل ويصرخ بصوت عال: „ إنكم بالفعل فاشيون Faschisten!“
ترك إسرائيل... تركت كوسوفا. تركت....

أشجار. بحر. حرب. السعادة سلاح دافئ. أجمع محار ، من على الساحل. أعشاب - Rosmarin -
عوائل.

معسكرات الاعتقال والمحرقه صارت ذاكرة الإنسانية جمعاء. ويبدو أن سربرنيسا Srebrenica قد
صارت هي الأخرى.

في الحادي عشر من شهر تموز تجمع ما يقارب من ثلاثين إلى أربعين ألف انسان في مقبرة
Potocare التي تقع مقابل مصنع ال Akkufabrik لممرور عشر سنوات على المجزرة البشرية “
لنتذكر دائما” هكذا كتب على مدخل المقبرة. إن مجزرة ال Ustasch و Tschetnik في الحرب
العالمية الثانية لا زالت عالقة في ذاكرة أهالي البوسنة والهرسك، الذين لازالوا على قيد الحياة... لا
نتركها تسقط من ذاكرتنا خصوصا ونحن نعيش الآن جرائم أخرى تحدث كل يوم.
„ وهذا أقل ما يمكن أن فعله نحن الذين نجونا من المجزرة “ أن لا ننسى “ هذا ما قصده أمير طالب
الفلسفة، كي لا تتكرر مثل هذه المأساة.

في يوم الأحد، وقبل يوم من مراسيم الدفن، وضعت في تلك القاعة الكبيرة، التي كانت تابعة لمصنع ال
Akkumulatoren ستمائة وعشرة تابوتا - نعشا - مغطاة بغطاء أخضر وكانت الأرقام المكتوبة
عليها قد كتبت أيضا على حائط القاعة، ومن بين نعش وآخر كان الأقرباء... الأصدقاء يبحثون عن
الضحية وحينما يعثرون عليها في تلك اللحظة التي تتماثل فيها الأرقام، تمتد الايدي لتلامس النعش
لتحتضنه ولتودع الابناء... الاخوان... الاباء بعد غياب عشرة سنوات... ولم يعرف حتى الآن كم إنسان
كان قد قتل في شهر تموز عام ١٩٩٥ في Srebrenica „ على أرض آمنة “ وتحت حماية كتيبة
هولندية تابعة لقوات هيئة الأمم المتحدة. لقد قتل الصرب سبعة... ثمانية... عشرة آلاف بوزني
Bosnien... المرأة التي دفنت ابنها في السنة التي مضت، دفنت ولدها الثاني في هذه السنة، وهي
باننظار رفات ولدها الثالث، الذي لم تتحقق من هويته حتى الآن.....

في عام 1990 و1991 كثير من الناس كانوا يعرفون، بأن الداعين إلى دولة الصرب الكبرى يعدون
حملة بالهجوم على البوسنة و Podrinie الهدف منها احتلال كل مناطق البوسنة والهرسك وضمها
إلى صربيا. لهذا السبب هاجر الكثير من سكان هذه المنطقة، وما أن حل صيف عام ١٩٩٢ احتل
الصرب سربرنيسا وشرد ما يقارب من عشرين ألف إنسان من هذه المدينة والقرى التي تحيطها “ كل
يوم كان بشر عزل يموتون تحت وابل قنابل الصرب وكان الجوع والعطش يهدد كل من بقى على قيد
الحياة.“

كان أمير في الحادية عشرة من العمر عندما سقطت سربرنيسا، ولكونه كان صغيرا فقد نقل مع والدته
بواحدة من عربات النقل والخلاص من هذا الجحيم ولم يعثر على أي اثر لوالده وأخيه لحد الآن. أما
الأخرون الذين لم تتوفر لهم مثل هذه الامكانية فقد حاولوا الخلاص من هذا الجحيم بالهروب عبر
الغابات “ سرنا ثمانية وعشرين يوما دون طعام وماء. صديقي وأنا طلبنا من الذين استسلموا للأمر
الواقع وبقوا هناك أن لا يفشوا سر هروبنا. نهض الرجل الذي هو على رأس هذه المجموعة، التي

كانت قد ملت الانتظار، ورفع قميصا أبيض كان قد علقه على قطعة عصا سائرا هو ومن معه للخروج من الغابة.... وبعد استجواب دام بعض من الدقائق، سمع بعدها صوت عيارات نارية.“ لقد كان ال Tschetnik يعرفون جيدا. ما عليهم إلا الانتظار ولا ضرورة من الولوج إلى الغابة، فالجوع والعطش إلى جانب التعب وانهايار الأعصاب حليف كل من يهرب إلى الغابة.....

كان صديق أمير الذي شارك في مسيرة الأيام الثلاثة التي سميت بمسيرة الموت – الطريق إلى الحرية – قد قال” أنا لا أفهم هذا، كل الذين شاركوا بتعذيبنا معروفين عند كل الناس. وكانت المرأة التي قد ودعت لتوها بقايا جثة ابنها الثالث قالت:“ هؤلاء الشرطة، مجرمي الحرب، هم الآن هنا يتفرجون على الأمهات كيف يدفنون أولادهم.“

* فصل من كتاب كل حروبي .

** ماروشا كريس شاعرة من سلوفينية. ولدت عام 1947. درست الأدب وتاريخ الفن. تكتب الشعر، القصة إلى جانب كتابتها للمسرح. من مؤلفاتها “ البارحة، اليوم، غدا” صدر عام 1992. ,, رسائل من نساء حول الحرب والوطن “ صدر عام 1993. وصدر لها عام 2001 مجموعة قصائد بعنوان “ حينما فقدت الوصية “. حقيبة يوركشاير وهو مجموعة من القصائد ايضا صدر عام 1998. كانت تنتقل بين لندن وبرلين وتعيش الآن في غراتس التابعة لجمهورية النمسا.